الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣: ١٠-١٥)

يا ولدي تيموثاوس إنَّك قد استَقَرَيْتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في أنطاكيةَ وإيقونيةَ ولِسترة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعها* وجميعُ الذينَ يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطَهَدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنت على ما تعلَّمتَه وأيقنتَ به عالِماً مِمَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليَّةِ تعرِفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادِرةَ أن تُصيِّرَك حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

الفرّيسيّ والعشّار

تدخل كنيستنا المقدّسة، اليوم، فترة التهيئة للصوم الأربعينيّ المقدّس التي تدوم أربعة أسابيع. تبدأ هذه الفترة بأحد الفرّيسيّ والعشّار الذي يعلّمنا أهميّة التواضع والتوبة لنخوض الصيام بشكل صحيح. الأحد الثاني هو أحد الابن الشاطر الذي نتعرّف من خلاله على حلاوة العودة إلى الأحضان الأبويّة. نتعرّف بعد ذلك على أولويّة عمل الرحمة والمحبّة في أحد الدينونة (مرفع اللحم)، وأخيرًا نتسلّح بالمسامحة والغفران في أحد مرفع الجبن.

إذًا، يُقرأ على مسامعنا في هذا الأحد مثل الفرّيسيّ والعشّار من الإنجيل بحسب لوقا البشير (١٨: ١-١٤). مثل الفرّيسيّ والعشّار هو بمثابة تدريب سابق وتهيئة لمن يريد اقتناء موهبة التواضع التي هي أساس كلّ الفضائل، كما يعلّمنا الهرب من التكبّر المُميت الذي يُبعد الإنسان عن كلّ الفضائل المسيحيّة.

دخل الفرّيسيّ والعشّار إلى الهيكل ليصلّيا. دخلا متساويَين في عينيّ الله، لكن مختلفين في نظر بعضهما. رأى الفرّيسيّ نفسه أفضل من العشّار، لذا كانت صلاته شكرانًا لأنّه ليس كالعشّار وسائر الناس الخطأة الزناة. هذا كان خطأه الأوّل، إذ زكّى نفسه وظنّ أنّه أفضل من كلّ الناس وأنّه وحده البارّ والحكيم والصالح، بينما الباقون هم خطأة وظالمون وزناة. لقد احتقر العشّار الذي لم يؤذه ولو بنظرة وأدانه مشهرًا خطيئته وواضعًا نفسه مكان الله.

بدأ الفرّيسيّ صلاته بالشكر، الذي على كلّ إنسان أن يقدّمه، لكنّه لم يشكر الله على عطاياه بل لأنّه ظنّ نفسه أفضل من ذاك العشّار. إعتبر الفرّيسيّ أنّ كلّ ما حصل عليه إنجازٌ شخصيّ. تباهى بأنّه يصوم مرّتين أسبوعيًّا، وافتخر بأنّه يُعطي عِشر أمواله، لكنّه نسيَ أنّ هذا كلّه كان مفروضًا عليه في ناموسه ولم يكن يقوم بذلك انطلاقًا من صلاحه أو إرادته الحرّة.

أمّا العشّار فبقي واقفًا عند الباب. لم يجسر حتّى أن يدخل بيت الربّ لأنّه عالم بخطاياه. لم يشأ أن يرفع عينيه إلى السماء. لم يبرّر خطاياه التي نطق بها الفرّيسيّ. كان يعرف قلبيًّا أنّه ما من إنسان مستحقّ لأن يدخل بيَت الربّ وأنّ الله يعرف مكنونات القلوب وخفايا الأفكار. وجّهَ نظره أرضًا وقرع صدره تائبًا وقال: «اللّهمّ

العدد ٤ / ٢٠١٨

الأحد ٢٨ كانون الثاني

أحد الفريسي والعشار

تذكار أبينا البار أفرام السرياني

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الأول

ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٨: ١٣). قول العشّار هذا هو اعتراف إيمانيّ نابع من عمق قلبه. لقد اعترف بأنّ الله هو الإله الرحوم وأيضًا بأنّه هو إنسان خاطئ.

رمى العشّار عنه كلّ خطاياه عندما عرفها، متقبّلاً اتّهام الفرّيسيّ بوداعة وصبر، أمّا الفرّيسيّ فقد سقط من المجد لأنّه برّر نفسه وخالف وصية الربّ، مدينًا العشّار والآخرين. طلب العشّار الرحمة وحصل عليها. أمّا الفرّيسيّ فلم يطلب شيئًا، لذا لم يحصل على شيء. الذي رفض أن يتوب رجع مثقلاً بالذنوب، والذي اعترف بحاجته ذهب مبرَّرًا، الأمر الذي يعني أنّه حصل على موقف سليم أمام الله. الله يبرّر ويحسب كلَّ مَن يأتي إليه كخاطئ تائب بارًّا. يقبل الربّ كلّ مؤمن بأنّ الربّ يسوع المسيح مات من أجل خطاياه، وأنّه ربّه ومخلّصه. لا يغفر الله لأحد إلى أن يقول: «أنا أخطأت».

وضعت الكنيسة هذا المقطع الإنجيليّ في الأحد الأوّل من التهيئة لكي تطلب منّا أمرَين: إدانة خطايانا، ومسامحة خطايا الآخرين. مَن يرى خطاياه يصبح أكثر تسامحًا تجاه الآخر، والذي يحكم على الآخر يدين نفسه لأنّ الربّ يسوع المسيح قال: «لا تدينوا لكي لا تُدانوا» (مت ٧: ١).

إذًا، تطلب الكنيسة منّا أن نتحلّى بالتواضع المقدّس، لأنّه، بحسب القدّيس أفرام السريانيّ، «وشاح الألوهة»، و«من يرتدي التواضع يلبس الإله». علينا أن نضع أنفسنا وندرك خطايانا وحاجتنا إلى التوبة والرحمة الإلهيّة «لأنّ كلّ مَن رفع نفسه اتّضع، ومَن وضع نفسه ارتفع» (لو ١٨: ١٤).

يدعونا الإنجيل اليوم لفحص ضمائرنا بعمق من ناحية ممارساتنا الدينيّة التي أصبحت نوعًا من «الواجبات» أكثر منها تواصلًا مع الخالق والمخلّص. عدّد الفريسيّ «إنجازاته» كأنّه يمنّن الله، وكأنّ الله هو المستفيد. كانت صلاة الفريسيّ أنانيّة لا تكترث للآخرين بل تسعى إلى إبرازه هو نفسه وتلميع صورته أمام الله. أمّا صلاة العشّار فكانت غير أنانيّة على الرغم من ورود «الأنا» فيها، لأنّها ترتكز على تواضع عميق ومعرفةٍ صحيحة لأهمّ ما ينقصه وهو رحمة الله وصفحه.

القدس

بدعوة من شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب عُقد في القاهرة يومي ١٧ و١٨ كانون الثاني المؤتمر العالمي لنصرة القدس، وقد شارك فيه سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس وكانت له خلاله الكلمة التالية:

«أود أولاً أن أحيي فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس مجلس الحكماء المسلمين الدكتور أحمد الطيب وأن أشكره على دعوته لي لحضور هذا المؤتمر العالمي لنصرة القدس التي تتعرّض حاليًا لمخطط يهدف إلى تغيير هويتها وطمس تاريخها والإمعان في قهر أهلها وتهجيرهم.

غيابُ العدالة يخنقُ صوتَ الحق، وعدالةُ الأرض مهما سمت ناقصةٌ، لكنّ الباطلَ مآلهُ الزوال ولا بد للحقيقة أن تسطعَ وللمقهور أن ينتصر.

إنّ ما تحاول إسرائيل القيام به، مدعومةً بالقرار الاميركي الأخير، يهدف إلى إبراز صورة عن القدس تتعارض مع تاريخها، يُضاف إلى ما قامت به في العقود الماضية من تغيير عمراني وديموغرافي وسياسي لوجه المدينة، وهذا يفقدها فرادتَها وذاكرتَها الجماعية ويحيلها مدينةً بلا ماضٍ ولا تاريخ.

لقد كانت القدسُ وسوف تبقى

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠–١٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانان صعِدا إلى الهيكل ليُصلِّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشَّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسه هكذا: أللَّهمَّ إنّي أشكركَ لأنّي لست كسائر الناس الخَطَفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العَشَّار* فإنّي أصوم في الأسبوع مرَّتينِ وأُعَشِّرُ كلَّ ما هو لي* أمّا العَشَّار فوقف عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيه إلى السماء بل كان يقرعُ صدره قائلًا: أللَّهم ارحمني أنا الخاطئ* أقول لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيته مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفع نفسه اتَّضع ومَن وضع نفسه ارتفع.

تأمل

لتكن لنا، يا إخوة، مشاعر متواضعة، ولنبعد عنا كل اختيال وكبرياء، وافراط وغضب، ولنعمل

بما هو مكتوب. فقد قال الروح القدس: «لا يفتخر الحكيم بحكمته، ولا الجبّار بجبروته، لا يفتخر الغنيّ بغناه، بل بهذا فليفتخر المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب المُجري الرحمة والحكم والعدل في الأرض» (إر ٩: ٢٣-٢٤).

لنذكر بوجه خاص أقوال ربنا التي كان يعلّمنا بها الانصاف والتراحم. «كونوا رحماء فترحمون؛ واغفروا يغفر لكم: فكما تفعلون يفعل الناس بكم، وكما تُعطُون تُعطَون، وكما تدينون تُدانون، وكما تفعلون الخير يفعل بكم الناس الخير، وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم» (مت ٦: ١٤-١٥؛ ٧: ١-٢؛ لو ٦: ٣١، ٣٦-٣٨).

فلنستمدّ من هذه الوصية وهذه التعاليم قوّة السير، خاضعين لأقواله المقدسة بكل تواضع، في وعينا المسيحي الكنسي مدينةَ السلام أورشليم، المدينةَ التي وطئتْها قدما الربّ يسوع منذ طفولته، والتي صلّى في أروقةِ هيكلها وبشّرَ فيها وبذل فيها ذاته ذبيحةً عن الإنسانيةِ لكي يخلّصها. كيف لهذه المدينةِ أن تفقدَ هويتها وتصبحَ مكاناً يشهدُ على اضطهادِ المؤمنين بالله وسحقِهم بعد تهجير آبائهم وأجدادهم؟

نحن لا ننظرُ إلى القدس كمكانٍ وحسب، بل كجوهرٍ يحمل معنًى روحياً يتجاوز تقلّبات التاريخ والسياسة وما جرّته من عداواتٍ وحروب.

القدسُ بالنسبة لنا هي المدينةُ المقدّسةُ التي شهدتْ مراحلَ الصلبِ والموتِ والقيامة، وستبقى المكانَ الذي فيه يُرفع التمجيدُ لله العلي إلى أبد الدهور.

كثيرون تغنّوا بالقدس وكتبوا فيها القصائد، معدّدين ما تجمعُه هذه المدينةُ من ميزاتٍ وما تثيرُه من مشاعر. ليس عبثاً أنها سُميّت «زهرة المدائن» لأنها زهرةٌ بيضاء تجمع في حناياها الإخوةَ في الله، مسيحيين ومسلمين، إذ لا أُخُوَّة حقيقية إلاّ بالله. إنها مدينةُ الصلاة، صلاة كل من يؤمن بالإله الواحد الأوحد، التي نتوق جميعنا إلى زيارتها والسير في طريق الجلجلة التي خطاها الرب، والتبرّك من كنيسة القيامة، وموضع الصعود، ومكان حلول الروح القدس في العنصرة على التلاميذ، وقبر والدة الإله، وغيرها من أماكن الحج المسيحية والإسلامية التي تزخر بها.

لكنّ القدسَ بالنسبة لنا هي أكثر من هذا، على أهميته. نحن لا نوافق على تهويد القدس وتشويه طابعها العربي المسيحي الإسلامي، كما نرفض بشدة تهجير العرب والمسيحيين بشكل خاص، لأننا نعتبر أنّ القدس بكنائسها ومؤسساتها وأوقافها هي قدسهم وهي مدينة آبائهم وأجدادهم ومنبع ديانتهم ومحلّ إيمانهم وصلاتهم.

إنّ البشر هم همّنا الأكبر في القدس التي يجب أن تبقى لأهلها، للفلسطينيين، وأن تبقى مدينة الصلاة والسلام، ومكان التعايش بين الأديان والشعوب.

هنا يهمّني أن أؤكد أننا كأرثوذكسيين إنطاكيين كنا وما زلنا نعتبر أنفسنا أول الموجودين في القدس وأول المهتمين بها وبمصيرها. نحن نؤمن أنّ الفلسطينيين هم أصحاب البيت، وقد تم تحويلهم إلى غرباء ومشرّدين.

إننا كمسيحيين مشرقيين نلتمسُ الرضى الإلهي، وننشدُ وجهَ الله حيثما كنّا، وخاصة في القدس وفي وجوه إخوتنا أبنائها، ونسعى إلى إحقاق الحق، وابتغاءِ العدالة، والعملِ على إعلاءِ شأن الإنسانِ، والحفاظ على حريته وكرامته.

نحن قومٌ نؤمن أنّ الله قد خَلَقَنا أحراراً، وأنه تجسّد ليعتقنا من عبودية الشرّ والخطيئة، وليعيدنا إلى أحضان الآب، جاعلاً إيانا أبناء له بالنعمة المعطاة لنا من لدنه.

الإنسانُ بالنسبة لنا يحمل نفحةً إلهية وهو محلُّ المحبة والإحترام لأنّه مخلوقٌ على صورة الله ومثاله وهو عزيزٌ في عيني الرب وعيون أحبائه. كلُّ ما يجرّد الإنسانَ من كونه غايةً في ذاته هو خروجٌ على إرادةِ الله ومحبتِه اللامحدودة. وكلُّ من يحدّ من حرية الإنسان ويحرمه حقوقه يخالف التعاليم السماوية. إنّ القدسَ حقٌ لأبنائها كما لبنان حقّ لأبنائه وكذا في سائر بلدان شرقنا والعالم. لذلك من حق

الشعب الفلسطيني أن يعيش بسلام في بلاده، في أرضه، في قدسه.

هنا أستذكر قول المثلّث الرحمة البطريرك إغناطيوس الرابع في القمة الإسلامية في الطائف سنة ١٩٨١: «القدسُ قلبُ إنسانيتِنا وما يصيبُها يصيبُ كلَّ بشريّ بمقدار.» نحن في لبنان قد أُصبنا من جَرْحِ القدس وفلسطين عامة، وفتحنا أرضنا وقلوبنا لإخوتنا الفلسطينيين، وكنا نأمل أن تكون استضافتُنا لهم قصيرة، يعودون بعدها إلى ديارهم آمنين. وها قد انطوى أكثرُ من نصف قرنٍ وما زالوا غرباء في ديار الأرضِ، والعالمُ متغافلٌ، والعربُ نائمون، وما زالت القدس حزينةً على فَقْد بنيها.

أملُنا أن يُجتَرَح حلٌّ لا يشوّهُ وجهَ القدس ولا يُفقدُها فرادتَها أو يتناسى تاريخَها وتراثَها.

القدسُ كلبنان مكانُ لقاء الإخوة، مسيحيين ومسلمين. ومكانُ تفاعل الأفكار والثقافات والأديان. القدس تخص المسيحيين بقدر ما تخص المسلمين، والإهتمامُ بمصيرها مشترك. من القدس انطلقت المسيحيةُ إلى أقاصي الأرض، وفيها أوصى الربُّ يسوع تلاميذه: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميعَ ما أوصيتُكم به، وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ١٩ و٢٠).

نحن إذاً أصيلون في القدس أصالةَ الربّ يسوع، ولا يمكن لأحد أن يتجاهلَ التاريخ.

إنّ الوجه الحقيقي لشرقنا الأوسط، ولقدسنا بخاصة، لا يتجلّى في أصالته إن لم يرتفعْ فيه صوتان معاً: صوتٌ مسيحيٌّ وصوتٌ إسلامي، يشكّلان توأماً مشرقياً يطالبُ بحق الفلسطينيين بأرضهم وحق المسيحيين والمسلمين بمقدّساتهم.

مشرقُنا لن يسلمَ في جوهره إن لم تَسْلَمْ هذه النواة، والقدسُ تفقدُ معناها إذا فقدتْ أيَّ عنصرٍ من عناصرها الروحية.

فلنرفض معاً أن تكون القدسُ ألعوبةً سياسيةً أو منطلَقاً لمآرب تغلب فيها المصلحةُ على الحقيقة والإستقامة والعدالة. ولا نَدَعَنّ جدّيةَ من يودُ سلبَنا القدسَ تكون أقوى من جدّية إرادتِنا في استعادتِها.

أخيراً نكرّر مع فيروز:

البيتُ لنا والقدسُ لنا
وبأيدينا سنعيدُ بهاءَ القدسِ
بأيدينا للقدس سلامٌ آتٍ.

على رجاء أن يمدَّ الربُّ الإله يدَ رحمتِه علينا ويوقفَ كلَّ نزفٍ في ديارنا، ويضمّدَ جراحاتِنا ويبسط سلامه في شرقنا وفي العالم أجمع، أتمنى لكم كل خيرٍ وبركةٍ من لدنه».

عيد دخول السيد إلى الهيكل

بمناسبة عيد دخول السيد إلى الهيكل تقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١ شباط وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الجمعة ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

إذ يقول الكتاب: «لكن إلى مَن انظر؟ إلى البائس والمنسحق الروح والمرتعد من كلمتي» (إش ٦٦: ٢).

إنه لعدل وحق، أيها الإخوة، أن تطيعوا الله بدلاً من انسياقكم إلى الوقاحة والكبرياء وراء محرّضي المنافسة الكريهة. لأننا لا نتعرض لضرر بسيط بل لضرر خطير، إذ نحن نستسلم بتهوّر لإرادة هؤلاء الرجال الذين لا يسعون إلاّ لبذر بذور الشقاق والفتنة ويحاولون أن يبعدونا عن الخير.

لنكن صالحين بعضنا نحو بعض، أسوة بصلاح خالقنا ووداعته. لأنه مكتوب: «إن الودعاء يسكنون الأرض، والأبرياء يبقون فيها، ولكن الخطأة يبادون» (أم ٢: ٢١–٢٢؛ مز ٣٦: ٩، ٣٨).

القديس إقليمس الرومي